

"كوميديا إلهية" لشذى شرف الدين في "أجيال"

منمنمات تفتح الطريق أمام الأسئلة

نتفق جميعا على أن الفنانة اللبنانية شذى شرف الدين استثمرت فن المنمنمات لتبيان رؤيتها ومقاربتها حول الجمال الإنساني والإشكالي في الوقت عينه. لم تلجأ الفنانة إلى إعادة تنفيذ المنمنمات بل تركيبها، بما يتوافق ورؤية معرضها "كوميديا إلهية" (غاليري "أجيال"). فشرف الدين اختارت نماذج منمنمة، وضعتها كخلفية لخدمة التصاوير الفوتوغرافية التي تبرز في واجهة كل لوحة، وبالتالي، بقصد تظهير التناقض والتماثل والتكامل بين حيزين يتحرك فيهما الجمال. الاول يتعلق بأحكام الكون والإنسان والدين، بكل امتداداتها على المستوى الفلسفي الميتافيزيقي، وذلك من خلال إبقاء لعبة الجماعة مع الطقوس، ومن ثم تجميد هؤلاء الأشخاص الأقدمين في مكانهم، أو فكرتهم "الأصلية" داخل المنمنمة، محتفظة بنشاطهم ككائنات استخرجت من الجليد، لتعكس طزاجة حركات أعضائهم وأجسامهم المتصوفة أو المتسائلة، المبتهلة، القلقة أو الخائفة، المؤمنة بالملائكة، أو حتى الشريرة. اما الحيز الثاني، فهو المرئي، المُشاهد يوميا، الذي يمثل أحد مكونات السوسيولوجيا الحديثة (والفاسدة ربما؟)، وذلك بابتذاله، وخلوه من إيديولوجيا الجمال على حساب تعاطيه كمادة بشرية غير جذابة، منقّرة، مادية صرفة، فانية، وعاجزة لأنها تفتقر الى مقومات الطفولي، الفطري، أو الكمالي.

كما أن أبرز ما نلاحظه في اللوحات المقسمة مجموعات وتيمات، هو مقارنة شكلية، تتخفي أمامنا في عجة التصاوير وزخرفات اللوحة. ففي مقابل الأحجام الصغيرة والجاهزة والبشرية لكائنات اللوحة المستثمرة في لعبة شرف الدين، تبرز على مسافة أقرب صور فوتوغرافية أو بورترية جزئية بأحجام أكبر لكائنات أخرى غير مرسومة، مشغولة بالعدسة، واقعية، خاضعة لمنطق الصورة، وخرافية إلى حد الكوميديا أحيانا، وربما سخيفة. إختلاف الاحجام أولا بين الخلفية وصدر اللوحة، يتشابه مع نظرية النسبة والتناسب في الرياضيات، حيث أن للعين مادة واحدة (اللوحة) سرعان ما تنفصل وتتفكك امام الناظر إلى أجزاء المنمنمات مقابل الصورة الفوتوغرافية الموجودة في اللوحة. يصبح كل من هذه الاجزاء محمّلا دلالات الزمن (زمان)، والصورة (صورتان)، والفلسفة (فلسفتان)، والذهني، واللامرئي مقابل المرئي، الواقعي، اليقيني. ومن هنا، إشكاليات مختلفة تطرح نفسها محاولة إلغاء بعضها البعض، أو التكامل في ما بينها، متذبذبة في وقت واحد، حتى ليكاد المتفرج يُتخ من عجة الافكار والأسئلة المتواترة والمتنافسة في ذهنه حول القديم والجديد، الدين والإنسان، الكوني والخاص، المادة والروح، الميثولوجيا والطبيعة، الخير والشر، الطوباوية والسلطة، الحيواني والبشري، حركة المادة والتصوف.. الخ.

هذه القراءة العامة، يمكن استشفافها من خلال تأمل اللوحات وقراءة التناقضات في العمل الواحد، والعناصر والتقنية التي تعتمدها الفنانة للتأثير في مخيلة المتلقي. لغة الاعمال، تصب في فلك الحضارة الإسلامية لثلاثة اسباب لا تخفى على أحد إنما يجدر ذكرها هنا: المنمنمة التي ارتبطت

بالموضوعات الاسلامية قالبا وروحا، تركيز الفنانة على حيوان البراق الذي حمل الرسول في رحلة الاسراء والمعراج، تالياً دلالاته الواضحة والعميقة في الاسلام، وأخيراً عنوان المعرض "كوميديا إلهية" المستعار من كتاب دانتي الشهير، الكاتب الإيطالي الذي تأثر في مؤلفه هذا بالإرث الإسلامي. هكذا تُسيّر قافلة الاعمال المعروضة نحو مطارح محددة في الذاكرة مهيباً زائر المعرض لاختبار ذاته أمام هذه الإشكاليات بين المتوارث والمعيش، والتي تفضي إلى الجانب الإنساني، ومن ثم مقاربة الجمالي أخيراً. هكذا يتخفف المتلقي من كل تشوش محتمل حول المضامين، سواء اقتنع بأسلوب التركيب التشكيلي، أم لم يقتنع.

الفنانة إذاً، أبقت الخلفية كما هي. لم تضيف شيئاً عليها، ولم تعبت بها في أي شكل من الأشكال، وهذا ما حفظ في المقابل البعد الاسطوري، والإنساني والتاريخي والتراثي والفني والديني لهذه التصاوير، وهياً لتكون مادة تحتل التصرف بها في الفن "المعاصر". أي أن الفنانة، باستقدامها هذا التراث الجمالي والتصويري، من دون المساس به أو إعادة رسمه بالريشة واللون، بل طباعته بواسطة الكمبيوتر، فتحت لنفسها الطريق لكي تتصرف بفكرتها بشكل يطرح التساؤلات حول كائنات متخيلة شكلت أحد مكونات وعينا الاجتماعي ولعبت دوراً مؤثراً في تعريفنا بالجمال "الأرضي" البصري، بكل ملامحه "غير الجميلة" أحياناً، أو المثيرة إلى حد الرفض أحياناً أخرى.

مازن معروف